

## أسباب الحرب البلقانية

من الكتب الملائمة للطبع في الآونة الحاضرة كتاب « الحرب في البلقان » لحضرة الكاتب البليغ يوسف افندي البستاني وهو جامع لجميع أسباب الحرب وحوادثها ونتائجها ، ولنحو أربعين رسماً من رسوم رجالها ، ولأهم آراء الكتاب الحريين والمؤلفين في هذا الموضوع . وقد اقتطفنا من كلامه عن أسباب الحرب الفصل التالي . قال :

من رام أن يقف على حقيقة تلك الحرب الهائلة ويدرك أثرها العظيم في الشرق والغرب يلزمه أن يعرف أسبابها وحوادثها ونتائجها . وأنا بادئون بذكر تلك الأسباب واحداً فواحداً مع الإيجاز ، ومعتمدون على نخبه من أقطاب السياسة وصفوة المؤرخين والباحثين في المسألة الشرقية . فان الحرب البلقانية ليست إلا مشهداً كبيراً فاجماً من رواية تلك المسألة التي تعددت فيها الفصول وأدمت مشاهداتها العيون بخلق بنا أن نحسب رأس الأسباب ما انطوت عليه الضلوع ، وغلت به الصدور من الحقد القديم والضعيفة الكامنة بين الأراك والامم الاربع المتحالفة فان كل أمة منها جعلت تربية الحقد في صدور أبنائها على دولة آل عثمان فرضاً مقدساً وآية من آيات الوطنية . فاذا ورد ذكر التركي على أحد أسانذتها جعله عنواناً للظلم ، ومثلاً للقسوة ، وعدواً ابدياً يجب على كل فرد أن يرضع بفضه مع حليب أمه

أنظر الى اليونان تجد الاساتذة والوالدين والوالدات وكل عمجوز بالية يرددون ذكر مجدهم القديم ، ويعدون التركي مفتصباً لأرضهم هدأماً لدولتهم ، هضاماً لحقوقهم ، ويمزجون ما يحويه تاريخهم من الحقائق الجارحة بخرافات وحكايات نظمها لهم أسانذتهم وشعراؤهم ليرتوا فيهم كراهة التركي ، ويحملوهم على التفكير المستمر في استرجاع ما وقع في قبضته من ملكهم القديم ، ويجعلوا طلب الثأر نصب

أعينهم الى أن يأتي وقته . ثم تراهم يهتمون اهتماماً خاصاً بأخبار أبطالهم والمنظومات الحماسية لشعرائهم القدماء . وفي طليعتهم هوميروس صاحب الألياذة الخالدة ، ويرددون على الأخص ، من الحوادث الغابرة ، قصة يسمونها «حكاية علي باشا في يانيا» فيعززون اليه من الفظائع والاهوال ما يشيب الطفل في مهده ، وبزعج الميت في لحده . وهم يجعلون فيها القطرة بحراً والصفرة سفراً ويرتبونها كما يشاء الخيال ، إذ لا يهم منها إلا أن تجي . في شكل يبكي النساء والاطفال ، ويثير قلوب الرجال . قال كاتب فرنساوي كبير « يمكننا ان نقول ولا نخشى الخطأ ان حكاية يانيا حضرت الامة اليونانية على الجهد الذي بذلته في الحرب الاخيرة حضناً كبيراً وأثرت فيها تأثيراً شديداً . فانك تجد كل قرية وكل دسكرة في الجزر اليونانية تأخذها الرعدة من تذكر يانيا . وترى النساء يتقلن تلك الحكاية الى اولادهن ويذكرن ما أتمته بعض اليونانيات من الأعمال في مجال القتال . وما من أثر أبقى في النفوس وأقوى في القلوب من حكايات وطنية تعيدها الأم وهي جاثية أمام سرير ولدها ،

واضف الى حوادث التاريخ القديم والمتوسط حادث الفشل الكبير الذي حل بهم في حرب سنة ١٨٩٧ . فانهم لبثوا بعدها يتطلعون الى الأثر واستقدموا جماعة من الضباط الفرنسيين فنظّموا لهم جيشهم ، وجددوا مدافعهم . وكان يزيدهم حقدًا على حقد أن الحكومة العثمانية ظلت واقفة لدى الحكومة اليونانية ويدّها على مقبض السيف لتوقع الرعب في قلبها وتمنعها من ضمّ جزيرة كريت الى أملاكها . وكانت جرائد الاستانة تنذر اليونان في كل يوم بالزحف على اثينا اذا قبلوا المندوبين الكريتيين في البرلمان اليوناني كما طلب اهل تلك الجزيرة



واذا رجعنا الى تاريخ البلغاريين وجدنا أن الحقد يثمو في قلوبهم منذ سنة ١٣٩٣ أي السنة التي سقطت فيها الدولة البلغارية في قبضة تركيا . واذا اراد

القاري أن يعرف مبلغ بغضهم للتركي - وكلّ موظفٍ عثماني هو تركي عندهم - فحسبُهُ ان يقرأ شيئاً مما يلقونه على أولادهم أو يسمع ما يقوله الشيوخ والمجائز منهم . ذكر لي صديقي حقي بك العظم انه زار صوفيا ، عاصمة البلغار ، منذ بضعة أعوام ، وذهب يوماً مع نسيبٍ له كان معتمداً عثمانياً سامياً في مركبة الوكالة العثمانية الى بعض أحياء المدينة ؛ وبينما كنا مارين أمام بيت احدى المجائز ، خرجت هذه ويدها قدرٌ من الأقدار المختلفة وقذفت به على طرفوشيهما وملابسهما العثمانية

وليس يدلنا على اعتنائهم الشديد بترية الحقد على الأتراك وزيادة النفور منهم مثل أمر ماثور . وهو أنهم تركوا محلة صغيرة في عاصمتهم على أسوأ حال لتكون عبرة لكلّ بلغاري فيتذكر على الدوام ما كانت عليه بلادهم في عهد الحكم التركي . والواقع ان تاريخ البلغار ( منذ سقوط دولتهم سنة ١٣٩٣ الى سنة ١٨٧٧ ) كان تاريخ ذلٍ وهوانٍ فانهم كانوا أرقاء تلعب الألف التركية في رقابهم ، واذا شكوا حكمت السيوف في هياتهم . ولبثوا سنواتٍ عديدة على أثر سقوط ملكهم يحسبون الأتراك من محتدٍ أشرف من محتدم حتى صحت فيهم حكمة القائل « ان الاستعباد يُفقد الشعوب نصف فضيلة الرجولية »

على انهم كانوا مثل كل شعب مغلوبٍ على أمره وله تاريخ قديم ، يذكرون استقلالهم الذي تغلغل في طبقات الزمان ويحتنون اليه وهم في زوايا بيوتهم ، ويشكون بصوتٍ خافتٍ من حكامهم . ولبثوا على تلك الحال من الجبن والمسكنة حتى سنحت الفرصة لانفجار حقدهم الكامل قبيل معاهدة برلين . وكانت عوامل ايقاظهم ثلاثة : أولها ان ولاية أمورهم غلوا أشدّ غلورٍ في الضغط عليهم فكانت نتيجة هذا الضغط انفجار ذاك الحقد ؛ والثاني ان روسيا المدوّة القديمة لترصيا كانت تمحضهم وتعدمهم بالعون والمدد ؛ والثالث ان تحريرهم من قيد الكنيسة اليونانية أنشأ فيهم روح الاستقلال

بقيت تلك العوامل الثلاثة تعدّ نفوسهم للثورة وتزيد حقدهم المتأجج حتى  
 هبوا ينفذون عنهم غبار الدّلّ العتيق . ولما ثارت البوسنة والمهرسك سنة ١٨٧٥  
 رأى ذوو الإقدام منهم أنّ الفرصة كانت مواتقة للثورة وشغاء النفوس من الضغينة  
 على انهم لم يكنفوا بالخروج على الحكومة بل ارتكبوا جناية ذبح المسلمين في  
 بعض القرى . ولم تكن ثورتهم وقتئذٍ عامةً لانّ قسماً كبيراً منهم كان لا يزال  
 خائفاً من سادته الاتراك . وما ترمى خبر فنتهم الى الباب العالي حتى عقد العزيمة  
 على تأديبهم وكان التأديب واجباً . الاّ انه أخطأ الطريقة المثلى فاطلق عليهم ألوفاً  
 من الجنود غير المنظمة بدلاً من أن يسير اليهم جنوداً نظامية تحت أمره قائد عاقل  
 يضع اللين في محله والشدة في موضعها . وروى قنصلاً فرنساً وانكائراً في تقاريرهما  
 الرسمية ان عدد الذين ذبحتهم تلك الجنود من رجال ونساء وأطفال يبلغ ما بين  
 ١٥ و ٢٠ ألف نفس ٤

فكان لتلك الحوادث صدى عظيم في أوروبا ، وهبّ غلادستون فالتقى بخطبة  
 الشهيرة عن تركيا والاتراك وانسى الاوربيين ان البلغاريين قتلوا هم أيضاً بالمسلمين  
 الآمنين . ولاغرو فان الحادث الاكبر ينسب الحادث الاصغر ؛ وهناك سبب  
 آخر وهو ان شعور كل فئة بنكبات أهل دينها أشد من شعورها بارزاء الآخرين،  
 وهذا طبيعي تجده عند جميع الامم والملل ولا يتغير ما دام الانسان انساناً . وقليل  
 هم لسوء طالع الانسانية أولئك الذين يضعون الحق فوق كل شيء

على ان هذا كله بعض ما جرى بين العدوين وهو يكفي للدلالة على ان  
 الجيش البلغاري لم يزحف وحده من صوفيا بل زحف هو وحيداً خمسين سنة ...

• •

وليس حقدُ الصربيين وأهل الجبل الاسود على الاتراك باخف من حقد  
 اليونانيين والبلغاريين . فانهم مثل حلفائهم يرتبون في ابائهم محبة الثأر من تركيا ،

ولا ينسون انتصار الأتراك عليهم وقتكهم الذريع بهم . ذكر الموسيو « البيرمالي »  
الاستاذ الكبير في التاريخ السياسي ان المؤرخ الصربي « ليوبا كواشفيتش » وقف  
يرثي ابنه الذي قتل في احدى معارك الحرب البلقانية فقال :

( يا بنيّ نمّ بسلام فقد اوفيتَ دينك للوطن . وقل لدوشان ولازار بل قل  
لجميع شهداء قوصوه ان أمّهم تأرت لقوصوه ... ) . ولقد دلت الحرب على ان  
الثأر الذي اثار اليه هذا المؤرخ الصربي هو أمنية كل فرد من امته ، وانّ الحق  
على الأتراك شامل لطبقاتها . قال ايضاً الموسيو « البيرمالي » ان معارك قوصوه  
- التي حدثت من نحو ٥٠٠ سنة - ما زالت تذكر عندهم كما تذكر حوادث  
حرب السبعين عند الفرنسيين ، وما يرحوا يرددون تذكار القيصر دوشان والقيصر  
لازار حتى الآن

ثم روى الاستاذ نفسه دليلاً على احتفاظ الصربيين بما يُضرم الضغينة في  
قلوبهم على الأتراك قال : ان الفأ من الصربيين كانوا سنة ١٨٥٩ محصورين في  
احد الماقل على مقربة من مدينة نيش ، فأوا ان الأتراك أوشكوا ان يستولوا  
على موقعهم عنوةً ، فاختاروا ان ينسفوا معقلهم بما كان عندهم من البارود على ان  
يقعوا احياء في ايدي اعدائهم ؛ ثم جاء الأتراك بعد نسفه وفضلوا رؤوسهم عن  
الجثث وجعلوا منها شبه برج . ولما دخل الصربيون مدينة نيش سنة ١٨٧٨ كان  
ذاك البرج محفوظاً على شكله ؛ فرفعوا الجاجم ودفنوها في مقبرة وابقوا البرج  
ليراه الأبناء والاحفاد ، وتقبوه ببرج الجاجم ، واصبح امره موضوع قصص  
العجائز والوالدات في البيوت والاساتذة في المدارس

وليس من غرض هذا الكتاب أن نفيض في شرح الوقائع التاريخية التي اشعلت  
نار ذلك الحق . فانا نختتم الكلام عن هذا السبب الاول من أسباب الحرب بما  
تضمنته قانون أصدرته حكومة الجبل الاسود سنة ١٤٨٤ ليكون دليلاً آخر على

الحقد القديم في صدور أهل ذلك الجبل أيضاً وهو :

« اذا نشبت الحرب بيننا وبين الأتراك فلا يجوز لاحد من أهل الجبل ان يترك ساحة القتال الا بأمر رئيسه . وكل من يفرّ أمام الترك يفقد شرفه الى الابد ويصبح محقراً منبوذاً من آله ، ثم يلبس ثوب امرأة ويُعطى مغزلاً ليشغل به مع النساء ، وتعمد النسوة أنفسهن الى طرده كما يطرد الجبان الذي يخون وطنه »  
وهنا ندع القاري يفكر في الحالة النفسية التي كان فيها أعداء تركيا يوم ساروا الى الحرب وهم يؤملون النصر  
يوسف البستاني

## سفر السفراء الدول

يلعب السفراء في الآونة الحاضرة دوراً خطيراً في الحوادث التي تشغل الآن العالم قاطبة . وهذه المناسبة نشر للقراء المقالة الآتية التي كتبها خصيصاً « لزهور » حضرة الكاتب المجيد اسكندر افندي شاهين « صاحب الرأي العام » ورئيس تحرير « الوطن » . قال :

اذا كان لك على الزمان قضية وفي صدرك الكريم من أهل الزمان غلة لأنهم لم ينصفوك اولاً لأن عامتهم نسبت فضلك الى سواك فاعلم ان لك في هذا الظلم شركاء يقومون بكبير الأعمال ويمدح غيرهم من سرة الرجال . هم السفراء ينوبون عن ملوك الأرض وشعوبها . وينجزون المهام المسيرة على مهل ، ويحلون المعضلات من وراء الحجاب فلا يدري الجمهور بما فعلوا ويزعم الأفراد ان الفضل في الحل لمعاشر الملوك والوزراء . ولطالما تغنت الأفوام بمدح ملك ورددت ذكر ذكائه الشديد ورأيه السيد مع ان الملك لم يكن الا عاملاً برأي سفيره ، ولو ترك الأمره لبقيت الحالة كما كانت او ساءت وتغير تاريخ بني الانسان . وربما وقع الوزير في